النظريات المؤثرة في طريقة العمل مع الجماعات

- نظرية الأنساق
- نظرية علم النفس الدينامي
- نظرية التعلم
- نظرية المجال
- نظرية التبادل الاجتماعي

النظريات المؤثرة في
طريقة العمل مع الجماعات

ساهمت النظريات النفسية والاجتماعية بشكل كبير في فهم العمل الجماعي وطبيعة التفاعلات التي تحدث داخل الجماعة، كما استفاد كثير من المختصين من هذه النظريات في فهم وممارسة العمليات الأساسية لطريقة العمل مع الجماعات كعمليات الدراسة والتخطيط والتقدير أو التشخيص والتدخل والعلاج.

ويرى (Toseland, ١٩٩٨) أن هناك خمس نظريات كان لها الأثر الفعال في طريقة العمل مع الجماعات وهي:

١- نظرية الأنساق System theory.

٢- نظرية علم النفس الدينامي Psychdynamic theory.

٣- نظرية التعلم Learning theory.

٤- نظرية المجال Field theory.

٥- نظرية التبادل الاجتماعي Social exchange theory.

وسوف نعرض في هذا الفصل باختصار لهذه النظريات ونحاول قدر الإمكان الإشارة إلى أهم المفاهيم والافترضات العلمية المرتبطة بهذه النظريات وتوظيفها في طريقة العمل مع الجماعات.

نظرية الأنساق
SYSTEM THEORY

عرف (Barker,١٩٩١) مفهوم نظرية الأنساق بأنها مجموعة المفاهيم التي تؤكد على العلاقة التبادلية بين مجموعة العناصر التي تكون الكل، وهذه المفاهيم تؤكد أيضاً على العلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات والمنظمات والمجتمعات والعوامل المؤثرة في البيئة المحيطة، كما أشار أيضاً إلى أن نظرية الأنساق تركز على العلاقات المتبادلة بين العناصر في العلوم الطبيعية والعلاقات الاجتماعية.

ويرى (Anderson,١٩٧٩, & Olsen,١٩٦٨) أن نظرية الأنساق هي من أكثر النظريات استخداماً وتطبيقاً في مجال العمل مع الجماعات، وأن هذه النظرية تحاول أن تفسر الجماعة كنظام أو نسق مكون من مجموعة من العناصر المتفاعلة.

كما حاول كثير من المنظرين المهتمين بهذه النظرية النظر إلى الجماعة كنظام اجتماعي يتكون من مجموعة من الأفعال والتفاعلات بين الأشخاص الذين توجد بينهم صلات متبادلة. ويؤكد على ذلك (Parsons,١٩٥١) حيث يعتبر الجماعة نظاماً اجتماعياً مكوناً من مجموعة من الأعضاء الذين تربطهم ببعضهم البعض علاقات متبادلة، ويحاولون المحافظة على نظام الجماعة واستقرارها وتوازنها وذلك من خلال عملهم كوحدة واحدة.

ويفسر هذه النظرة ما يحدث للجماعة من تغييرات ومؤثرات مستمرة أثناء محاولتهم تحقيق أهدافهم، ولذا فهي بحاجة إلى أن تحافظ على توازنها

واستقرارها من خلال وضع الضوابط والشروط والمعايير التي تنظم عملها وتحافظ على استمراريتها، هذا بالإضافة إلى أن الجماعة بحاجة إلى تعبئة مواردها وطاقاتها بهدف الوفاء بمطالبها المتغيرة.

ويرى (Parsons; Bales & Shils,١٩٥٣) أن للأنظمة أو الأنساق (كالجماعات) أربع وظائف ومهام أساسية هي:

١- الدمج والتكامل integration بمعنى ضمان انسجام أعضاء الجماعة مع بعضهم البعض، ونعتقد أن ضمان الانسجام بين أعضاء الجماعة يتم من خلال توفر مجموعة من الشروط والخصائص كالاشتراك في المشكلة والاهتمامات والميول والرغبات وقد أشرنا إلى ذلك بالتفصيل في موضعه.

٢- التكيف adaptation وذلك من خلال ضمان إحداث التغييرات والتعديلات اللازمة في الجماعة لتتكيف مع مطالب البيئة.

٣- المحافظة على النمط أو النموذج الجماعيpattren maintenance بمعنى ضمان قيام الجماعة بتحديد أغراضها الأساسية وهويتها وإجراءاتها والمحافظة على ذلك.

٤- إنجاز الهدف goal attainment وذلك من خلال توفر الدافع لدى أعضاء الجماعة والجماعة ككل لإنجاز وتحقيق أهدافها.

ويشير (Toseland,١٩٩٨) إلى أهمية قيام الجماعة بإنجاز هذه الوظائف إذا أرادت أن تحافظ على استقرارها وتوازنها واستمراريتها، كما يؤكد على أن مهمة العمل بهذه الوظائف من واجبات قائد الجماعة وأعضائها. كما يؤكد (Mills,١٩٦٧) على أن قائد الجماعة وأعضاءها

مطالبون بالعمل لمساعدة الجماعة على البقاء وإنجاز أهدافها وذلك من خلال قيامهم بملاحظة عمليات الجماعة والتأكد من سيرها بطريقة صحيحة تحقق أهدافها مع اتخاذ جميع الإجراءات التي تساعد على تجنب الوقوع في المشكلات.

ويرى (Toseland,١٩٩٨) إلى أن هناك ثلاثة عوامل رئيسة لها تأثير بالغ الأهمية على نجاح العمل الجماعي واستمراره هي:

١- درجة إيمان الأعضاء بقدراتهم وإمكانية تحقيقهم لأهداف الجماعة.

٢- مدى ارتباط أعضاء الجماعة بأهدافها.

٣- البيئة التي تعمل فيها الجماعة وما تفرضه من مطالب وما توفره من إمكانيات.

أما (Bales,١٩٥٠) فيرى أن استمرار أي جماعة يعتمد على قيامها بحل نوعين من المشكلات النوع الأول سماه: المشكلات الوسيطية instrumental problems كإجراءات وأساليب الوصول للأهداف، والنوع الثاني من المشكلات سماه: المشكلات النفسية والاجتماعية sociemotional problems والتي تتمثل في الصعوبات والمشكلات الشخصية ومشكلات التنسيق والتعاون ورضا الأعضاء عن العمل. ويشير أيضاً إلى أن أسباب المشكلات الوسيطية تكمن في المطالب البيئية، أما أسباب المشكلات النفسية والاجتماعية فتنتج من داخل الجماعة ولهذا يرى أن على القائد الاهتمام بعمليات الجماعة، والنتائج التي تصل إليها والقيام بإشباع حاجات الأعضاء النفسية والاجتماعية وإنجاز المهام الأساسية

للجماعة . ونرى في هذا الصدد أن هذا يؤكد على ضرورة اهتمام قائد الجماعة بعمليات الجماعة (الدراسة والتخطيط ، التقدير ، التدخل والعلاج ، التفاعل) وضرورة الاهتمام بأعضاء الجماعة كأفراد وإشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية مع العلم أن التركيز على جانب واحد فقط من هذين الجانبين يؤدي بالخلل في الجانب الآخر .

يرى (Bales,١٩٥٥) أن التعامل مع المشكلات الوسيطية يتم من خلال سؤال أعضاء الجماعة عن آرائهم وطلب المعلومات والاقتراحات منهم ، أما التعامل مع المشكلات النفسية والاجتماعية لأعضاء الجماعة فيتم عن طريق إبداء موافقتهم أو عدمها والتعبير عن المشاعر والانفعالات وإظهار تماسكهم وانسجامهم أو عدمه . ويتضح لنا من خلال هذا الرأي أن التعامل مع المشكلات المرتبطة بعمليات الجماعة يتم من خلال التركيز على استخدام أساليب معرفية تعتمد على إتاحة الفرصة لأعضاء الجماعة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم والاستفادة من معرفتهم ومعلوماتهم وخبراتهم . أما التعامل مع مشكلات أعضاء الجماعة النفسية والاجتماعية فيتم من خلال التركيز على أساليب وجدانية تعتمد على تعبير أعضاء الجماعة عن مشاعرهم وانفعالاتهم والاستجابة لها ، ومن خلال هذه التفاعلات يستطيع أعضاء الجماعة التعامل مع مشكلات الاتصال والتقويم والضبط وإتخاذ القرارات وخفظ التوتر والانسجام مما يسهم في تحقيق أهداف الجماعة .

ويرى (Homans,١٩٥٠) أن للجماعة نظاماً داخلياً وخارجياً ويمثل للنظام الخارجي بطريقة تعامل الجماعة مع المشكلات الناجمة عن علاقتهم بالبيئة الاجتماعية والمادية ، أما النظام الداخلي للجماعة فيتضمن أساليب أو

نماذج الأنشطة والتفاعلات والمعايير التي تظهر داخل الجماعة أثناء أدائها لعملها. كما يؤكد الباحث أيضاً على تداخل النظامين الداخلي والخارجي للجماعة وتأثير أحدهما على الآخر.

ومما تجدر الإشارة إليه أخيراً ما ذكره (Toseland,١٩٩٨) حول أهم النقاط أو الجوانب المرتبطة بهذه النظرية وعلاقتها بالعمل الجماعي والتي نلخصها في الأتي:

١- إن خصوصية الجماعة تنبع من تفاعل أعضاء الجماعة كأفراد.

٢- التأثير البالغ لقوى الجماعة على سلوكيات أعضائها.

٣- كفاح أعضاء الجماعة للحفاظ على وحدتها عندما تواجه بمشكلات أو صعوبات.

٤- إدراك أهمية التكامل في العمل الجماعي والاهتمام بالعاملين الداخلي والخارجي المرتبط بالبيئة.

٥- فكرة أن الجماعة في حالة نمو وتغير دائمين يؤثر على توازنها واستقرارها ووجودها.

٦- إن للجماعة دورة حياة تمتاز بالنمو والتغير.

نظرية علم النفس الدينامي

PSYCHODYNAMIC THEORY

عرف (Barker,١٩٩١) نظرية علم النفس الدينامي بأنها مجموعة الفرضيات والتطبيقات العلاجية المرتبطة بالشخصية الإنسانية ونموها كما اقترحها فرويد. ومع العلم بأن هذه النظرية تركز على الفرد بشكل رئيس ولم يعرف عن فرويد أنه مارس العلاج النفسي الجماعي إلا أن كثيراً من المختصين والممارسين بدؤوا في استخدام مفاهيم هذه النظرية في العمل الجماعي مما كان له دور هام ومؤثر في تحقيق أهدافه.

لقد شكل فرويد ١٩٢٢م نظريته عن الجماعات وتأثيرها في السلوك الإنساني وذلك من خلال عمله (علم نفس الجماعات وتحليل الأنا (Group psychology and the analysis of the ego) (Freud,١٩٢٢) واستناداً إلى (Toseland,١٩٩٨) فإنه يرى أن أعمال فرويد كان لها تأثير بالغ الأهمية ودور مهم في ممارسة العمل مع الجماعات ويؤكد على ذلك بكثير من المفاهيم التي استخدمها فرويد في نظريته وأصبحت مألوفة في العمل الجماعي مثل: الاستبصار insight وقوة الأناego strength وحيل الدفاع النفسي defence mechanisms. فمن المعروف أن قائد الجماعة يستخدم المفاهيم المستمدة من هذه النظرية لفهم طبيعة الأفراد وخصائصهم الشخصية، ومساعدتهم في التغلب على المشكلات التي تواجههم. وقد قام مجموعة من أتباع فرويد (Yalom,١٩٩٥ ; ١٩٩٣-

(Bion,١٩٩١ ; Redl,١٩٤٢-١٩٤٤ Rutan,١٩٩٢) بتبني نظرية علم النفس الدينامي وتوضيفه في مجال العمل مع الجماعات.

ومع أن نظرية علم النفس الدينامي تركز على الماضي أكثر من تركيزها على الحاضر إلا أنه يمكن الاستفادة من هذا الماضي في فهم شخصيات أعضاء الجماعة وسلوكياتهم، ومعرفة المشكلات التي يعانون منها، وتحديد بعض مسبباتها، وتوظيف ذلك كله في التعامل مع المشكلات الحالية وعلاجها. ويؤكد على هذا المفاهيم الجديدة التي تبناها وعدلها واستخدمها (Yalom,١٩٩٥) والتي استمدها من النظرية التقليدية حيث ركزت هذه المفاهيم الجديدة على الخبرات الحالية للتفاعل الجماعي (Here and Now Experiences)، وأصبح هذا يعرف في التراث بالعلاج الجماعي للعلاقات الشخصية المتبادلة (Interpersonal Group Therapy) ومن وجهة نظرنا أن هذا التركيز على الخبرات الحالية لأعضاء الجماعة له فائدة بالغة الأهمية في ضمان تعامل أعضاء الجماعة مع الموضوعات والقضايا والمشكلات الحالية التي تهمهم، فمن خلال تحليل النماذج والسلوكيات داخل الجماعة يستطيع القائد التعامل مع الصراعات والمشكلات الطفولية الماضية والتي لم يتم حلها، كما يستطيع أن يزودهم من خلال هذه العملية بخبرات نفسية صحيحة.

يرى (Toseland,١٩٩٨) أنه من خلال الاتصال الشخصي المتبادل والمباشر بين أعضاء الجماعة يستطيع الأفراد أن يكتسبوا مهارات العلاقات الشخصية والقدرات التكيفية وتقوية النفس، هذا بالإضافة إلى ما يكتسبونه من استبصار مرتبط بسلوكياتهم.

ويشير (Bion,١٩٩١) إلى أن نظرية علم النفس الدينامي كان لها أثر فعال في فهم سلوكيات الأفراد داخل الجماعات، وبالتالي قام بتطوير طريقة أو منهج أسماه "Tavastock Approach" بهدف مساعدة قائد الجماعة على فهم العمليات النفسية الأولية التي تظهر داخل الجماعات، كما أشار الباحث أيضاً إلى أن أعضاء الجماعة يتجنبون غالباً العمل مع الجماعة من خلال استجابتهم لسلطة القائد بالمقاومة والاتكالية.

وأخيراً نستطيع أن نلخص أهم جوانب هذه النظرية وإسهاماتها في العمل مع الجماعات في النقاط التالية:

١- استفاد العمل مع الجماعات من مفاهيم هذه النظرية ووظفها لخدمة عملياته، ونمثل لذلك بمفهوم حيل الدفاع النفسي التي تفيد في دراسة شخصيات أعضاء الجماعة، ومفهوم الاستبصار وتقوية الذات اللذين يستخدمان في التدخل والعلاج.

٢- استفاد العلاج النفسي الجماعي من مفاهيم هذه النظرية فيما يتعلق بفهم العمليات النفسية الأولية التي تظهر في الجماعات وكيفية التعامل معها.

٣- استفاد العمل مع الجماعات من مفهوم الخبرات الماضية وتوظيف ذلك في التعامل مع المشكلات الحالية.

نظرية التعلم

LEARNING THEORY

وفقاً لتعريف (Barker,١٩٩١) هي مفاهيم السلوكية behaviorism ونظرية التعلم الاجتماعي social learning theory التي تشكل العلاج السلوكي وتعديل السلوك، وهذه المفاهيم تشرح السلوك الإنساني على أنه نتاج لنجاح أو فشل استجابات محددة لمثيرات بيئية مختلفة.

ويرى (Toseland,١٩٩٨) أن لنظرية التعلم تأثيراً بالغ الأهمية في ممارسة طريقة العمل مع الجماعات، حيث يشير إلى أن هذه النظرية تؤكد على مجموعة من الخطوات والإجراءات والعوامل التي تسهم بدرجة كبيرة في إنجاز أهداف الجماعة ونجاح عملها، ومن هذه الإجراءات التي تؤكد عليها هذه النظرية الأهداف المحددة والواضحة، والتعاقد، وتأثير البيئة على الجماعة وأعضائها، والتخطيط العلاجي التدريجي، والنتائج العلاجية القابلة للقياس، وأخيراً إمكانية المتابعة.

ووفقاً لنظرية التعلم الاجتماعي (Bandura,١٩٧٧) فإن سلوك أعضاء الجماعة يمكن تفسيره بواسطة ثلاثة أساليب للتعلم هي:

١- نظرية التعلم التقليدية حيث يكون السلوك مرتبطاً بمثير كاستجابات القائد اللفظية وغير اللفظية السلبية في كل مرة يتحدث فيها أحد أعضاء الجماعة إلى عضو آخر أثناء عمل الجماعة وتفاعلها فبالتالي تصبح مجرد أي استثارة من هذا العضو كافية لإحداث استجابة القائد السلبية.

٢- في منهج التعلم الإجرائي تكون سلوكيات أعضاء الجماعة والقائد محكومة بنتائج أفعالهم، مثال ذلك: إذا قام أحد أعضاء الجماعة بتصرف ما واستجاب له عضو آخر بطريقة إيجابية فإن احتمالية قيام العضو الأول بتكرار السلوك تكون مرتفعة والعكس هو الصحيح. ففي العمل مع الجماعات يستخدم القائد المعززات المادية والمعنوية لزيادة الاتصال بين أعضاء الجماعة والتعليقات اللفظية السلبية لخفض الاتصال مع القائد، ولمساعدة أحد أعضاء الجماعة للتعامل مع مشكلاته كمشكلة زيادة الوزن مثلاً يطلب القائد من العضو وضع خطة تحدد المعززات الذاتية للسلوك والتي تعمل على خفض نسبة السعرات الحرارية المستهلكة، كما تحدد أيضاً العقوبات الذاتية للسلوكيات التي تزيد من استهلاك السعرات الحرارية.

ولقد استخدم مجموعة من الباحثين منهم (Feldmand & Wodar-ski,١٩٧٥; Feldman, Caplinger, & Wodarski,١٩٨٣· (Rose & Edleson,١٩٨٧; Rose,١٩٨٩, & Rose,١٩٩٨ مبادئ نظرية التعلم الإجرائي في عملهم مع الجماعات.

فقد اقترحت (Rose,١٩٨٩) أن بالإمكان استخدام المعززات المادية والمعنوية لزيادة السلوك المرغوب فيه وإنقاص السلوك غير المرغوب فيه أثناء العمل مع الجماعات.

ويشير (Toseland,١٩٩٨) إلى أن الجماعات التي يكون هدفها التدريب على المهارات الاجتماعية والاسترخاء والتوكيد وتعلم سلوك الوالدية يعتمدون بدرجة كبيرة على مبادئ نظرية التعلم.

٣- وفي منهج العلاج المعرفي السلوكي cognitive behavioral therapy اهتم المنظرون (Bech,١٩٩٥ Leahy,١٩٩٦ & Sheldol,١٩٩٥ Ellis,١٩٩٢) بعوامل لم يهتم بها منظرو الطريقة الإجرائية وهي الدوافع motivations والتوقعات expectations وغيرها من العوامل المعرفية الخاصة بالسلوك.

ويمكننا القول أن نظرية التعلم لم تحاول أن توضح وظيفة الجماعة ككل إلا أنه يمكن الاستفادة من مبادئها ومفاهيمها واستخدام كل ذلك في مساعدة أعضاء الجماعة في إحداث التغييرات المرغوبة، وينبغي على الممارس لطريقة العمل مع الجماعات أن يكون على معرفة ودراية وفهم للمبادئ الأساسية لهذه النظرية ومبادئ التعديل المعرفي للسلوك.

نظرية تعديل السلوك التي عرفها (Barker,١٩٩١) بأنها منهج أو طريقة لتقدير السلوك وتعديله استناداً إلى أساليب وتطبيقات تحليل السلوك المستمدة من مبادئ النظريات السلوكية. ويشير (Fischer &١٩٧٥ Gochros,) إلى أن أهداف تعديل السلوك هو إنقاص السلوك غير المرغوب فيه وغير التكيفي وزيادة السلوك المرغوب فيه والتكيفي.

وتعد نظرية تعديل السلوك كغيرها من النظريات النفسية التي استخدمت للتعامل مع مشكلات الأفراد، إلا أنه حديثاً بدأ يستخدمها كثير من الممارسين في العمل مع الجماعات وذلك من خلال استخدام الجماعة وعملياتها لإحداث التغييرات السلوكية داخل الجماعة. ويؤكد على ذلك (Fischer & Gochros,١٩٧٥) حيث يشيرا إلى أن نظرية تعديل السلوك استخدمت في مجالات ومواقف مختلفة ومتنوعة في العمل الجماعي، كما

استخدم (Baul & Shannon,١٩٦٨) التخلص التدريجي المنظم لمعالجة القلق داخل الجماعة، كما عمل كل من (Miller & Miller,١٩٧٠) على تشجيع وتوظيف أنشطة جماعات المساعدة الذاتية للمستفيدين من برامج الرعاية الاجتماعية، كذلك استخدم (Hedquist & Weinhold,١٩٧٠) طريقة العمل مع الجماعات لزيادة السلوك التوكيدي لدى عينة من طلاب الجامعة، كما استخدمت (Rose,١٩٧٤) الجماعة كوسيلة لمساعدة الأطفال ذوي المشكلات ووالديهم وتعديل سلوكياتهم من خلال الخبرات الجماعية، وكذلك استخدم (Lawrence & Sundel,١٩٧٢) الجماعات الصغيرة للتعامل مع مشكلات متنوعة كالقلق والمشكلات الزواجية والاكتئاب والمشكلات المرتبطة بالعلاقات باستخدام الأساليب السلوكية.

ولعل من أهم ما يميز نظرية تعديل السلوك مع الجماعات هو التزامها بدرجة عالية من التنظيم حيث يعتبر القائد هو الموجه الأساس لكل ما يحدث داخل الجماعة ولعملياتها آملاً في إنجاز أهدافها، وهذا ما يؤكده (Liberman,١٩٧٢) حيث يشير إلى أن الجماعات ذات التوجه السلوكي تتميز ببناء عال لا تسمح فيه بحرية التفاعل ويأخذ فيه المعالج الدور التعليمي الأساس، فهو المحرك الرئيس لكل ما يحدث داخل الجماعة.

ويؤكد (Fischer & Gochros,١٩٧٥) على أن لقائد الجماعة الدور الرئيس في تخطيط وتطبيق عمليات الجماعة والتحكم في أنشطتها، كما يتحمل مسؤولية تعليم الجماعة، وتوضيح المنهج السلوكي لهم، ومراقبة ومتابعة عملية تحليل السلوك وتعديله، وبناء على ذلك فإن دور أعضاء الجماعة في توجيه أنشطة الجماعة وعملياتها يكون محدوداً، على الأقل

حتى يستطيعوا استيعاب وفهم طريقة وأسلوب العمل الجماعي باستخدام هذه النظرية .

ويشير (Fischer & Gochros,١٩٧٥) إلى أن استخدام نظرية تعديل السلوك في العمل مع الجماعات يشبه إلى حد بعيد استخدامه مع الأفراد، حيث ينبغي أن يركز كل عضو من أعضاء الجماعة على تعيين السلوك المشكل الذي يرغب في تعديله من خلال العمليات الجماعية؛ ولهذا فإن هذه النظرية تستلزم تحديداً دقيقاً وواضحاً للسلوك المراد تعديله لكل عضو بعينه وبالتالي ستكون النتائج التي تصل إليها الجماعة أكثر وضوحاً ودقة بعكس الجماعات التي يكون هدفها التغيير في الشخصية أو رفع مستوى وعي أعضاء الجماعة .

وأخيراً يمكن أن نلخص فوائد العمل مع الجماعات المعتمد على النظرية السلوكية في الآتي :

١- توفر المعلومات الأساسية لأعضاء الجماعة وخاصة فيما يتعلق بكيفية تعلم السلوك وكيفية تعديله .

٢- مساعدة أعضاء الجماعة في الاستفادة من تطبيق مفاهيم هذه النظرية في فهم الخبرات التعليمية التي تؤثر في سلوكياتهم .

٣- استخدام عمليات التحليل والتقدير وأساليب التدخل المختلفة لإنجاز أهداف الجماعة .

نظرية المجال

FIELD THEORY

نظرية في علم النفس الاجتماعي وضعها Kurt Lewin وقوامها أن السلوك إنما هو حصيلة عوامل المجال الحيوي life space أو المجال الاجتماعي social space المتوقفة بعضها على البعض (بدوي، ١٩٨٦).

ويعتبر Lewin من أكثر العلماء اهتماماً بتوظيف نظرية المجال في العمل مع الجماعات حيث طبق Lewinمفاهيم نظرية المجال على ظاهرات نفسية واجتماعية شديدة التباين بما في ذلك سلوك الأطفال، والرضع، والمراهقين، والضعف العقلي، ومشكلات جماعات الأقليات، وديناميات الجماعة، كما اهتم بصورة مباشرة بمعالجة بعض المشكلات التي تواجه الإنسان وذلك من خلال قيامه بإجراء نمط من البحوث أطلق عليها اسم البحوث العملية action research التي استهدفت تغيير الظروف الاجتماعية.

ووفقاً لنظرية Lewin فإن الجماعة مجال حيوي كغيرها من العناصر فهي تسعى نحو تحقيق وإنجاز أهدافها كما تواجه بعضاً من الصعوبات والمعوقات أثناء سعيها لتحقيق هذه الأهداف (Shepard,١٩٦٤).

يرى (Toseland,١٩٩٨) أن الإسهام الرئيس والفريد لنظرية المجال في العمل مع الجماعات هو نظرتها إلى الجماعة كوحدة واحدة. بمعنى أن الجماعة توجه أفرادها من أجل تحقيق أهدافها، أو بمعنى آخر أن هناك عوامل

وضغوطاً وعوامل داخل الجماعة ونابعة منها تجعل أعضاء الجماعة يعملون كوحدة واحدة في إطار الجماعة من أجل تحقيق أهدافها.

ويشير (Lewin,١٩٤٧) إلى أن الجماعات في تغير مستمر بهدف التكيف مع محيطها الاجتماعي. كما عرض لمجموعة من المفاهيم التي تساعد في فهم القوى المؤثرة في العمل مع الجماعات منها:

١- الأدوار roles التي يقصد بها حقوق وواجبات ومسؤوليات أعضاء الجماعة ومركزهم داخلها.

٢- المعايير norms ويقصد بها القوانين والضوابط التي تحكم وتنظم سلوك أعضاء الجماعة.

٣- القوى power والتي يقصد بها قدرة أعضاء الجماعة للتأثير على بعضهم البعض.

٤- التماسك والانسجام cohesion ويقصد بذلك درجة انجذاب أعضاء الجماعة نحو بعضهم البعض ونحو الجماعة ككل.

٥- الاتفاق consensus والذي يقصد به درجة الاتفاق بين أعضاء الجماعة على أهداف الجماعة وعملياتها.

٦- التكافؤ valence والذي يقصد به قوة وفعالية الأهداف في المجال الحيوي للجماعة.

ويرى (Toseland,١٩٩٨) أنه بالإضافة إلى اهتمام Lewin بتشكيل نموذج نظري لديناميات الجماعة فإنه قد اهتم أيضاً بتأثير الجماعات على التكوين النفسي للأفراد، ويضيف أن Lewin قد أنشأ ما يسمى بجماعات

التدريب T-Group كطريقة وأسلوب لملاحظة تأثير عمليات الجماعة على أعضائها، وكأدات لمساعدة أعضاء الجماعة في تغيير سلوكياتهم. وجماعات التدريب تتكون عادة من مجموعة من الأفراد الذين يعملون في مؤسسة أو منظمة واحدة بهدف مساعدتهم في اكتساب مجموعة من المهارات كمهارات الاتصال والنمو النفسي وأسلوب حل مشكلات التعاون.

ويذكر (Toseland,١٩٩٨) أن مبادئ نظرية المجال التي ترى أن الأفراد لن يغيروا سلوكهم إلا إذا رأوا هذا السلوك من خلال الآخرين، لهذا فإن خبرات جماعات التدريب تحاول أن توفر لأعضائها تغذية راجعة مركزة عن سلوكهم وتواجههم بتأثير سلوكهم على بقية أعضاء الجماعة وقائدها. وتستخدم جماعات التدريب أساليب مختلفة ومتنوعة لتوضيح كيفية عمل وتطور عمليات الجماعة وتأثيرها على أعضائها ومن هذه الأساليب لعب الأدوار، والاستثارة، والأنشطة المبنية على الخبرات.

نظرية التبادل الاجتماعي
SOCIAL EXCHANGE THEOTyRY

من خلال استعراضنا لنظرية المجال نلاحظ أنها ركزت بدرجة كبيرة على عمليات الجماعة والجماعة ككل في مجالها الحيوي وعلى العكس من ذلك فإن نظرية التبادل الاجتماعي تركز على سلوك الفرد داخل الجماعة.

ومن الرواد الأوائل الذين حاولوا استخدام وربط هذه النظرية والاستفادة منها في العمل مع الجماعات هم (Blau,١٩٦٤، Homans,١٩٦١، Thibaut, & Kelley,١٩٥٩) حيث يرى هؤلاء الباحثون أنه عندما يتفاعل مجموعة من الأفراد في جماعة فإن كل واحد منهم يحاول أن يتصرف بطريقة تجعله يحصل على أعلى درجات الثواب ويتقي العقاب، وأن أعضاء الجماعة يبدؤون في التفاعل مع بعضهم البعض لأن عملية التبادل الاجتماعي يزودهم بشيء ذي قيمة وأهمية كالحصول على الموافقة والرضا.

ووفقاً لهذه النظرية فإنه لا يمكن الحصول على شيء إلا بإعطاء شيء آخر؛ ولهذا فإن هناك تبادل في جميع العلاقات الإنسانية.

يرى (Toseland,١٩٩٨) أنه وفقاً لهذه النظرية يمكن تحليل سلوك الجماعة بواسطة ملاحظة كيفية بحث أعضائها عن الثواب من خلال عمليات التفاعل التي تحدث داخل الجماعة فالقرار بفعل سلوك ما أو تركه يعتمد على حجم الثواب والعقاب المتوقع، فأعضاء الجماعة يعملون لزيادة النتائج الإيجابية وإنقاص النتائج السلبية.

ومن خلال استعراضنا لنظرية التبادل الاجتماعي يتضح لنا أن هذه النظرية تركز بدرجة كبيرة على عمليات الجماعة وتأثير ذلك على سلوك الفرد، وأن سلوك أعضاء الجماعة تفسر بدرجة الثواب والعقاب الذي قد يحصلوا عليه، كما تؤكد هذه النظرية على أن عملية التبادل الاجتماعي والتفاعل بين أعضاء الجماعة له أهمية وقيمة حيث يشبع من خلالها أعضاء الجماعة بعض حاجاتهم النفسية والاجتماعية إلا أن ما يؤخذ على هذه النظرية هو تركيزها على عمليتي الثواب والعقاب كدافع للسلوك وإهمالها للجوانب العقلية التي يكون لها تأثير في السلوك لا يمكن إهماله أيضاً ولا إغفال دوره.

المراجع العلمية

- بدوي، أحمد زكي. (١٩٨٦). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. مكتبة لبنان، بيروت.

- Anderson, J. (١٩٩٧). Social work practice with groups in the generic base of social work practice. Social work with Groups, ٢(٤), ٢٨١-٢٩٣.

- Bales, R. (١٩٥٤). In Conference. Harvard Business eview,٣٢ , ٤٤-٥٠.

- Bales, R. (١٩٥٥). How people interact in conference. Scientific American, ١٩٢, ٣١-٣٥.

- Bales, R. (١٩٥٠). Interaction process analysis: A method for the study of small groups. reading, MA: Adition-Wesley.

- Bandura, A. (١٩٧٧). Social learning theory. Engle Wood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

- Barker, R. (١٩٩١). The Social work dictionary. Washigton, DC.: National Association of Social Workers.

- Beck, J. (١٩٩٥). Cognitive therapy: basics and beyond. New York:Guilford.

- Bion, W. (١٩٩١). Experiences in groups and other papers. London: Routledge.

- Blau, P. (١٩٦٤). Exchange and power in social life. New

York: John Wily & Sons. Ellis, A. (١٩٩٢). Group rational-emotive and cognitive-behavior therapy.

- Feldman, R., & Wodarski, J. (١٩٧٥). Contemporary approaches to group treatment: Traditional behavior modifcation and group centered. San Francisco: Jossey-Bass. .Fischer, J. & Gochros, H. (١٩٧٥). Planned behavior change: Behavior modification in social work.New York: The Free Press

- Freud, S. (١٩٢٢). Group Psychology and the Analysis of the Ego. London: The International Psychoalytic Press. Hedquist, F. & Weinhold, B. (١٩٧٠). Behavioral group counseling with socially anxious and unassertive college students. Journal of Counseling Psychology, ١٧, ٢٣٧-٢٤٢

- Homans, G. (١٩٥٠). The Human Group. New York: Harcourt Brace Jovanovich.

- Homans, G. (١٩٦١). Social Behavior: Its elementary froms. New York: Harcourt Brace Jovanovich.

- International Journal of Group Psychotherapy, ٤٢(١), ٦٣-٨٢.

- Lawrence, H & Sundel, M. (١٩٧٢). Behavior modification in adult groups. social work, ١٧, ٣٤-٤٣.

- Leahy, R. (١٩٩٦). Cognitive therapy: Basic principles and applications. Northvale, NJ: Jason Aronson.

- Lewin, K. (١٩٤٧). Frontiers in group dynamics. Human Relations, ١, ٢-٣٨.

- Miller, L. & Miller, O. (١٩٧٠). Reinforcing self-help group activities of wefare recipients. Journal of Applied Behavior Anysis, ٦, ٥٧-٦٤.

- Mills, T. (١٩٦٧). The soeciology of small groups. Engle-Wood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

- Olsen, M. (١٩٦٨). The process of social organization. New York: Holt, Rinehart & Winston.

- Parsons, T. (١٩٥١). The social system. New York: The Free Press.

- Parsons, T., Bales, R. & Shils, E. (Eds.). (١٩٥٣). Working papers in the theory of action. New York: The Free Press.

- Paul, G. & Shannon, D. (١٩٦٨). Treatment of anxiety through systematic desensitization in groups. Journal of Abnormal Psychology, ١٧, ١٢٤-١٣٥

- Redl, F. (١٩٤٢). Group emotion and leadreship. Psychiatry, ٥, ٥٧٣-٥٩٦

- Redle, F. (١٩٤٤). Diagnostic group work. American Journal of Orthopsychiatry, ١٤ (١), ٥٣-٦٧

- Rose, S. (١٩٧٤). Group Training of parentce as behavior modifiers. Social work, ١٩, ١٥٦-١٦٢.

- Rose, S. (١٩٨٩). Working with adult in groups: A multi-method approach. San Francisco: Jossey-Bass.

- Rose, S. (١٩٩٨). Group therapy with troupeled youth. Newbury Park, CA: Sage Puplications.

- Rose, S., & Adleson, J. (١٩٨٧). Working with children and adolescents in groups. San Francisco: Jossey-Bass.

- Rutan, J. (١٩٩٢). Spychodynamic group psychotherapy. International Journal of Group Psychotherpy, ٤٢(١), ١٩-٣٦.

- Rutan, J. (١٩٩٣). Psychodynamic group psychotherapy (٢nd.). New York: Guilford

- Sheldon, B. (١٩٩٥). Cognative behavioral therapy: Resreach, practice and philosophy. London: Routledge.

- Shepard, C. (١٩٦٤). Small groups: Some socieological perspectives. San Francisco: Chandler Publishing.

- Thibaut, J., & Kalley, H. (١٩٥٩). The social psychology of groups. New York: John Wiley & Sons.

- Toseland, R. (١٩٩٨). An introduction to group work practice. New York: Macmillan Publishing Co.

- Yalom, I. (١٩٩٥). The theory and practice of group psychotherapy (٤th ed.). New York: Basic Books.